المملكة العربية السعودية
من مطبوعات وزارة العـــدل

هداية الناسك
الـــى أهـــم المناســـك

ويليــه

رسالة في التوحيد

لسماحة الشيخ
عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
والرئيس العام للمجمع الفقهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعــة التاسعــه
١٤٠٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لكل أمة منسكا، وجعل لهم الى الخير مسلكاً.. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين..

وبعد .. فهذه نبذة يسيرة مختصرة تبين للحاج المسلم: كيف يؤدي مناسك حجه وعمرته من حين يحرم الى أن يفرغ من أعمال حجه..؟

وكيف يزور مسجد النبي ﷺ ويسلم على النبي وعلى صاحبيه، ومابنبغي معرفته الى أن يرجع الى بلاده..؟

وسميته : «هداية الناسك الى أهم المناسك» ..
والله أسأل أن ينفع بها من قرأها أو نظر فيها، وأن يجزل لنا ولهم الاجر والمثوبة..

مقدمة في فضل مكة

قال تعالى :
(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم).

وقال تعالى :
(إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء).

وقال تعالى :

(أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء).

.. ولمكة من الخصائص والمزايا ماليس لغيرها من بقاع الارض.. فمنها: أنه جعلها مناسك لعباده وأوجب عليهم الإتيان اليها من القرب والبعد من كل فج عميق فيدخلونها وهم متواضعون متخشعون متذللون كاشفوا رؤوسهم متجردون عن لباس أهل الدنيا..

وجعلها حرما آمنا لا يسفك فيه دم، ولا يعضد به شجرة، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه ولا يلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس الا .. وجعل قصده مكفراً لما سلف من الذنوب ماحيا للأوزار حاطا للخطايا، كما في الصحيحين.. عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته

أمه.. ولم يرض لقاصده من الثواب شيئاً دون الجنة..

ففي السنن من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة..

وفي الصحيحين عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ..

فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحبها اليه ومختاره من البلاد لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها وجعل ذلك من آكد فروض الاسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه، فقال تعالى :

(وهذا البلد الامين) .

وقال تعالى :
(لا أقسم بهذا البلد).

.. وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي اليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها .. وثبت عن النبي ﷺ : أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة – ففي المسند والنسائي باسناد صحيح : عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة).. ورواه ابن حبان ايضاً في صحيحه ..

وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الارض

على الاطلاق.. ولذلك كان شد الرحال اليه فرضاً. وفي المسند والترمذي والنسائي: عن عبد الله بن عدي بن الحمراء انه سمع رسول الله ﷺ، وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة : يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك لما خرجت. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ومن خصائصها :

كونها قبلة لأهل الارض، فليس على وجه الارض قبلة غيرها.

ومن خصائصها أيضاً :

أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض ..

ومن خصائصها أيضاً :

أن فيها المسجد الحرام - أول مسجد وضع في الارض- كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الارض؟ قال : المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الاقصى (الحديث)..

. .. ومما يدل على تفضيلها : أن الله تعالى أخبر أنها (أم القرى) فالقرى كلها تابعة لها وفروع عليها وهي أصل القرى.. فيجب أن لا يكون لها في القرى عديل، فهي كما أخبر النبي ﷺ عن الفاتحة أنها أم (القرآن) .. ولهذا لم يكن لها في الكتب الالهية عديل..

وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الافئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الامين فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد..

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس.. أي يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ولا يقضون منه وطرا، بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقاً.

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها
حتى يعود اليها الطرف مشتاقاً

.. وفي اضافة البيت اليه سبحانه من التعظيم والاجلال والتكريم ماهو ظاهر بين .

فوائـــد

الفائدة الاولى

ذكر بعضهم أن لمنى خمس خصال :
الاولى : أن ماقبل من حصى الجمار يرفع .
الثانية : اتساعها للحجيج مع ضيقها في الاعين .

الثالثة : كون الحدأة لا تخطف منها اللحم .

الرابعة : كون الذباب لا يقع في الطعام وان كان من شأنه أن لا ينفك عنه كالعسل والسكر.

الخامسة : قلة البعوض بها .

الفائــدة الثانيــة

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اذا رأيت الماء بطريق مكة ورأيت البناء يعلو أخاشبها فخذ حذرك وفي رواية فان الامر قد أظلك ..

الفائــدة الثالثــة

أخرج الخطيب والديلمي عن أنس مرفوعا يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمتي للنزهة وأوسطهم للتجارة وقراؤهم للرياء وفقراؤهم للمسألة ..

ومن مراقي الزلف للقاضي ابن العربي رحمه الله قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر الزمان يكثر الحاج بالبيت يهون عليهم السفر ويبسط عليهم الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهدي أحدهم بعيره بين القفار وجاره مأسور الى جنبه مايواسيه.

قوله يهدي أحدهم بعيره بين القفار أي يرسله غير مبال به، وجاره مأسور الى جنبه مايواسيه أي تقل مبالاته بالمال لكثرته عنده ومع هذا جاره الفقير المحتاج الى جانبه لا يواسيه بسد فاقته والاحسان اليه لعدم التعاطف بين الجيران وعدم الرغبة فيما عند الله ..

الفائــدة الرابعــة

ان من واجبات الشرع ماهو تعبدي محض لا مدخل

للحظوظ والاغراض فيه ولا مجال للعقل الى التوصل الى سره وذلك كرمي الجمار مثلا اذ لاحظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لايعقل له معنى لان مايعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك كما روى البزار والدارقطني في العلل من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال في احرامه : لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه.

آداب السفــر

ينبغي لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء

الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته الى وقت الرجوع، ويرد ماعنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب مايكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير. بل على وجه يمكنه معه التوسعة في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء.

وينبغي ان يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه، ان نسي ذكره، وان ذكر أعانه، وإن جبن شجعه، وان عجز قواه، وان ضاق صدره صبره.

ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فان الله جاعل في أدعيتهم خيراً والسنة في الوداع أن يقول: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.. أخرجه الترمذي والنسائي من حديث ابن عمر.. وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر : (في حفظ الله وكنفه – زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت..) – أخرجه الطبراني..

وينبغي اذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة: (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية (الاخلاص)، فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال:

(اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب - احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة.. اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى.. اللهم انا نسألك أن تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك.. اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد.. اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير مابنا وبهم من عافيتك.. اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني لا اله الا انت عز جارك وجل ثناؤك ولا اله

غيرك.. اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت..).

وعندما يريد ركوب السيارة أو الطائرة أو الباخرة فليقل:

بسم الله وبالله والله أكبر، توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون.. اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت أمري اليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل).

فاذا استوى راكباً قال :

(سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا

الله اللهم عليك الاتكال والاعتماد.. وأنت المستعان في الامور كلها)..

المواقيـــت

ميقات أهل المدينة ذو الحليفة، وهي المعروفة الآن (بأبيار علي) وميقات أهل الشام ومصر والمغرب (الجحفة) وهي قريبة من رابغ ..

وميقات أهل نجد وأهل الطائف وغامد وزهران ومن كان جهتهم قرن المنازل، فإذا أحرم من وادي محرم المعروف بالطائف فقد أحرم من الميقات لأن وادي محرم محاذ لقرن المنازل. وميقات أهل اليمن (يلملم) وهي المعروفة بالسعدية تبعد عن مكة نحو (ثلاثين ميلا)، ومن كان طريقه جواً أو بحراً فليحرم اذا حاذى أقرب المواقيت منه، لقول عمر: انظروا حذوها من طريقكم..

وهذه المواقيت لأهلها ولمن مر عليها من غيرهم كالشامي مثلا أو المصري يأتي من طريق المدينة فيحرم من ميقات أهل المدينة ومن تجاوز الميقات بغير احرام قاصداً المدينة أو غيرها كمن وصل الى جدة مثلا مريداً المدينة، ثم عدل عنها الى مكة، فانه يحرم من جدة ولا شيء عليه لأنه حال تجاوزه الميقات بدون احرام غير قاصد مكة للنسك وانما قصده الزيارة..

أما من تجاوز الميقات بغير احرام قاصداً مكة وهو مريد للنسك فأحرم من مكانه فعليه دم، وهكذا حكم كل من ترك واجباً من واجبات الحج.

لما روى مالك في الموطأ: عن أيوب بن أبى تميمة السختيانى عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : من ترك من نسكه شيئاً فليهرق دماً.

بعضهم رفعه الى النبي ﷺ والصواب وقفه على ابن عباس.

وهذا السند الى ابن عباس قوى كما ترى.

أيوب بن أبي تميمة السختياني قال فيه ابن حجر : ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء والعباد من رواة الجماعة. وقال ابن سعد: ثقة ثبت حجة جامع كثير العلم ولد سنة ٦٦ وتوفى ١٣١هـ.

وسعيد بن جبير الأسدى الكوفى قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه من الثالثة قتل بين يدى الحجاج سنة ٩٥هـ ولم يكمل الخمسين من رواة الجماعة.

وابن عباس رضى الله عنه ناهيك به علما وفقها وتقى، دعا له النبي ﷺ بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه

التأويل. ولم يعرف له في هذه مخالف من الصحابة فلم يبق بعد هذا لقائل مقال.

مكان احرام من منزله دون الميقات

واذا كان منزله دون المواقيت فيحرم من منزله كأهل عسفان والشرائع ونحوهم يحرمون من أمكنتهم لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن ولأهل اليمن يلملم.. هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن يريد الحج والعمرة ومن كان دون ذلك فمهله من حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة.

الاحـــــرام

فاذا وصل الى الميقات يسن له أن يغتسل. لأنه صلى

الله عليه وسلم أمر أسماء بنت عميس وهي نفساء أن تغتسل. (رواه مسلم).

ويأخذ من شعره وأظفاره مايحتاجه، ويتطيب في بدنه ويحرم في إزار ورداء أبيضين جديدين أو خلقين نظيفين ونعلين.. وان تيسر له أن يصلي ركعتين في غير وقت النهي قبل أن يحرم فهو أولى وإن أحرم بدون غسل ولا تطيب جاز.. ويسن أن يشترط عند عقد الاحرام لحديث ضباعة بنت الزبير حين قالت له: اني أريد الحج وأجدني وجعة فقال حجي واشترطي وقولي: اللهم محلي حيث حبستني (متفق عليه) – زاد النسائي في رواية اسنادها جيد.. فان لك على ربك ما استثنيت فيقول: اللهم إني أريد نسك كذا فيسره لي وتقبله مني، وان حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، فمتى حبس بمرض أو انقلاب سيارة أو غيرها من الاعذار حل ولا شيء عليه..

أنواع الانساك وصفتهـــا

ويخير الحاج بين ثلاثة أنساك تمتع وهو أفضلها لما في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه لما طافوا وسعوا أن يجعلوها عمرة إلا من ساق هديا.. وثبت على احرامه لسوقه الهدي وتأسف بقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ماسقت الهدي ولأحللت معكم.. ولاينقل أصحابه إلا الى الافضل ولا يتأسف إلا عليه.

فإفراد لأن فيه كمال أفعال النسكين.. فقران وصفة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرغ منها ثم يحرم بالحج في عامه.

وصفة الافراد أن يحرم بالحج مفرداً، فاذا فرغ منه اعتمر عمرة الاسلام ان كانت باقية عليه بأن لم يكن أتى بها من قبل ..

وصفة القران أن يحرم بالحج والعمرة جميعاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل الحج عليها قبل شروعه في طوافها، وقد فعله ابن عمر كما ثبت ذلك عنه في الصحيحين.

وجوب الدم على المتمتع والقارن

ويجب على متمتع وقارن دم اجماعاً لقوله تعالى: (**فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم**)..

فاذا كان المتمتع والقارن عادماً لثمن الهدي فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج – يصوم في اليوم السابع والثامن والتاسع – وهو أفضل، فان صامها بعد التحلل من العمرة جاز. واذا لم يصمها في تلك الايام وجب عليه صوم أيام التشريق: الحادي عشر، والثاني عشر والثالث عشر.

وسبعة أيام يصومها اذا رجع الى أهله.. وان صامها في مكة بعد الحج فلا بأس.. بشرط أن لايكون المتمتع والقارن من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالي :

(ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) .

وهذا في التمتع. والقران مثله.. وسن لمفرد وقارن فسخ نيتهما بحج، لأنه عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه الذين أفردوا الحج وقرنوا أن يحلوا كلهم ويجعلوها عمرة الا من كان معه هدي. متفق عليه.

حكم المتمتعة اذا حاضت أو نفست قبل طواف العمرة

والمتمتعة إن حاضت أو نفست قبل طواف العمرة فخشيت فوات الحج أو خشي غيرها فوات الحج أحرمت بالحج وجوباً كغيرها ممن خشي فواته وصارت قارنة لما روى

مسلم أن عائشة كانت متمتعة فحاضت فقال لها النبي ﷺ: أهلي بالحج..

صفـــة التلبيـــة

وتسن التلبية عقب احرامه لقول جابر: أهل رسول الله ﷺ بالتوحيد:

لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك..

.. هذه تلبية رسول الله ﷺ وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها: (لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء اليك والعمل)..

وقد اجمع المسلمون على مشروعية التلبية والإكثار منها ويستحب رفع الصوت بها مالم يفض الى مشقة دون المرأة

فبقدر ماتسمع رفيقتها، فان اخفاءه في حقها أفضل.

والحكمة في التلبيــة :

هو أن الحاج أو المعتمر يقول عقب احرامه :

(لبيك اللهم لبيك) أي أنا مقيم على طاعتك.. الاجابة بعد الاجابة.. وفي التلبية مايشعر باكرام الله لعباده بأن كان ايفادهم عليه باستدعاء منه عز وجل في قوله:

(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر).

محظورات الاحــرام

فاذا عقد الحاج الاحرام فلا يجوز له أخذ شيء من شعر رأسه أو وجهه وسائر بدنه بلا عذر لقوله تعالى :

(ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله).

وغيره مقيس عليه.

.. وكذلك تقليم الاظافر من يد أو رجل كما يجتنب الذكر تغطية الرأس لقول رسول الله ﷺ في المحرم الذي وقصته راحلته: ولا تخمروا رأسه، فانه يبعث يوم القيامة ملبياً..

والأذنان من الرأس فلا يجوز تغطيتهما وان غطى وجهه فلا بأس. روي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وابن الزبير وغيرهم، لأنه لم تتعلق به سنة التقصير من الرجل فلم تتعلق به حرمة التخمير كباقي بدنه ولأن فرضه في الوضوء الغسل بخلاف الرأس ففرضه المسح.

ويجوز للمحرم حمل متاعه على رأسه اذا احتاج اليه كما يجوز له أن يغتسل ويغسل رأسه ويحكه برفق اذا احتاج اليه..

ويجتنب الذكر لبس المخيط، وكذا الجوارب.. وله أن

يشد المنطقة والحزام على ازاره وله أن يعقده عند الحاجة وأن يتختم وأن يلبس ساعة اليد ويضع النظارة لعدم النهي عن ذلك وورود بعض الآثار بجواز شيء من ذلك فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن الهميان للمحرم فقالت: وما بأس ليستوثق من نفقته، وسنده صحيح، وعن عطاء يتختم يعني المحرم ويلبس الهميان.. رواه البخاري تعليقاً.. والساعة والنظارة في معنى الخاتم والمنطقة لعدم ورود مايدل على النهي عنهما بل هما مقيسان على الخاتم ونحوه..

ويجوز للمحرم أن يغسل ثيابه عن الوسخ وأن يبدلهما بغيرهما وأن يلتحف عن البرد ببطانية ونحوها، ويغطي سائر بدنه ماعدا الرأس والاذنين.

ولايجوز للمحرم استعمال طيب في ثوبه أو بدنه حتى ولا في مأكول ومشروب كما لو جعل في الشاي أو في شيء من المأكولات، ومثله استعمال المحرم للصابون المطيب كل

ذلك لايجوز..

ولايجوز للمحرم قتل صيد ولا عقد نكاح ولا جماع امرأته ولا مباشرتها وإن أحرمت المرأة في شيء من حليها فلا بأس.

الحكمة في اجتناب هذه المحظورات

قال ابن دقيق العيد والسر في ذلك وفي تحريم المخيط وغيره مما ذكر والله أعلم مخالفة العادة والخروج عن المألوف لإشعار النفس بأمرين.

أحدهما : الخروج من الدنيا والتذكر للبس الاكفان عند نزع المخيط.

والثاني : تنبيه النفس على التلبس بهذه العبادات

العظيمة بالخروج عن معتادها وذلك موجب للاقبال عليها والمحافظة على قوانينها وأركانها وشروطها وآدابها.

وقال العلامة خليل المالكي في منسكه مانصه وشرع خلع الثياب اشعاراً بحالة الموتى ليتخلى عن الدنيا ويقبل على باب ربه وعبادته، لأن نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المغتسل ولبس ثياب الاحرام كلبس الاكفان لان الحاج قادم الى الارض المباركة المقدسة، وقصدا لمخالفة حالته المعتادة ليتنبه لعظيم ماهو فيه فلا يوقع خللا ينافيه. ا.هـ

الفديـــــة

ومتى غطى المحرم رأسه أو تطيب أو لبس مخيطاً أو أخذ شيئاً من شعره أو أظفاره عالماً عمداً فعليه صيام ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين، لكل مسكين مدبر أو نصف صاع من غيره، أو ذبح شاة فان فعله ناسياً أو

جاهلا فلا شيء عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ..

دخول مكـــة

فاذا وصل الى مكة، يسن له أن يدخل المسجد الحرام من باب السلام، المقابل لباب بني شيبة، لأنه وجه الكعبة ودخوله من أي باب من أبواب الحرم جائز، فاذا دخل قال:

(بسم الله وبالله ومن الله والى الله .. اللهم افتح لي أبواب رحمتك) ..

فاذا رأى البيت قال : (اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام.. اللهم زد هذا البيت تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً، وزد من عظمه وشرفه ممن

حجه واعتمره تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبرا : الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله وكما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله، والحمد لله الذي بلغني بيته ورآني لذلك أهلا والحمد لله على كل حال.. اللهم انك دعوت الى حج بيتك الحرام وقد جئتك لذلك اللهم تقبل مني واعف عني وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت..) ومازاد من الدعاء المأثور فحسن..

صفة الطواف ودعاؤه

فاذا أراد الطواف نوى بقلبه ولا يتلفظ بالنية لأن محلها القلب والتلفظ بها بدعة، ولم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من أصحابه البتة ولا أحد من الأئمة الاربعة أنه تلفظ بها أو قال نويت أن اطوف أو نويت أن أسعى أو نويت أن أصلي، والخير والبركة في اتباع الرسول ﷺ وأصحابه..

فيبتدىء الطواف من الحجر الاسود ويجعل البيت عن يساره، مضطبعا فيجعل وسط ردائه تحت عاتقه الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر. ثم يستلم الحجر ويقبله من غير صوت، لأن رسول الله ﷺ استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكي طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي، فقال : ياعمر هاهنا تسكب العبرات رواه ابن ماجه.

وفي الصحيحين أن أسلم قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر وقال : إني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك.

قال الحافظ : وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه.. اهـ.

فان شق استلامه وتقبيله استلمه بيده وقبل يده، فإن شق ذلك أشار إليه اشارة ولا يزاحم أحداً لتقبيله لئلا يؤذي الطائفين، ويقول عند استلام الحجر :

(بسم الله والله أكبر .. اللهم إيمانا بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ.

ويطوف سبعاً يرمل في الثلاثة الأول من طواف القدوم ويمشي على عادته في الاربعة الاخيرة.

والرمل هو اسراع المشي مع تقارب الخطى وهو (الخبب) ولا يسن رمل ولا اضطباع في غير هذا الطواف، كما أنه غير مشروع للنساء ولا لحامل معذور ولا لمحرم من مكة أو قربها ..

وكلما حاذى الحجر الاسود والركن اليماني استلمهما إن تيسر له ذلك.. ويقول بين الركنين :

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

ويقول كلما حاذى الحجر الاسود : (الله أكبر) ويكثر في بقية طوافه من الذكر والدعاء ومنه :

اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.. رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الاكرم.

وما أحدثه الناس من تخصيص دعاء لكل شوط من أشواط الطواف والسعي فلا أصل له، بل يدعو بما تيسر له من الأدعية المأثورة.. وكلما قرب من البيت في طوافه فهو أولى، لكن لو غلبه الزحام فابتعد من البيت بحيث يطوف من وراء المقام أو وراء زمزم جاز.

ومن ترك شيئاً من الطواف ولو يسيرا من شوط من السبعة لم يصح، لأنه صلى الله عليه وسلم طاف كاملا وقال : (خذوا عني مناسككم)..

وتشترط الموالاة بين الاشواط .. فلو أقيمت الصلاة أو حضرت جنازة وهو في الطواف صلى وبنى على ماسبق من طواف ويبتدىء الشوط من الحجر الاسود فلا يعتد ببعض شوط قطع فيه..

ثم إذا فرغ من الطواف صلى ركعتين خلف المقام إن أمكن وإلا صلاهما في أي موضع شاء ويقرأ فيهما بعد الفاتحة:

(قل يا أيها الكافرون) – في الركعة الاولى. وفي الثانية (قل هو الله أحد) .

والسر في قراءته ﷺ هاتين السورتين في ركعتي الطواف هو لاستحضار عظمة الله واشعار القلب أن الطواف بالكعبة ليس عبادة لها وإنما هو عبادة لله الأحد الصمد الذي لايستحق العبادة سواه..

وإن أحب أن يطوف أطوفة استحب أن يصلي عقب كل طواف ركعتين ..

وإن جمع بين أطوفة بلا صلاة صلى بعد الأطوفة لكل طواف ركعتين ولا يكفي عن الجميع ركعتان، وقال بهذا المسور بن مخرمة وعائشة وغيرهما رضي الله عنهما.

ولا تشترط الموالاة بين الطواف والسعي، فلا بأس أن يطوف أول النهار ويسعى آخره.

السعـــي

ثم بعد الصلاة يعود ويستلم الحجر الاسود إن تيسر له ثم يخرج للسعي من باب الصفا فيرق عليه ويستقبل القبلة ويكبر ثلاثاً ويقول :

(الحمد لله على ماهدانا .. لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده..) ويكرر هذا الدعاء ثلاث مرات، ويدعو بما أحب..

ثم ينزل من الصفا فيمشي الى العلم الأخضر فيسعى سعياً شديداً بين الميلين الأخضرين، ثم يمشي حتى يرقى المروة فيستقبل القبلة ويقول ما قال على الصفا، ثم ينزل

فيمشي في موضع مشيه ويسعي في موضع سعيه يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.

وينبغي أن يكثر من الدعاء والذكر فيما بين ذلك.. قال أحمد : (كان ابن مسعود إذا سعى بين الصفا والمروة قال: رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وأنت الأعز الأكرم..) وورد عنه أنه قال: إنما جعل رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله ..).

ويجب استيعاب مابين الصفا والمروة..

والسعي لا تشترط له الطهارة. ويستحب أن يسعى طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر في بدنه وثوبه.

وتشترط له النية وكونه بعد طواف ولو مسنوناً. والمرأة لا ترقى الصفا ولا المروة ولا تسعى بين الميلين سعياً شديداً، لقول ابن عمر: ليس على النساء رمل بالبيت ولا بين الصفا

والمروة، وقال : لاتصعد المرأة فوق الصفا والمروة ولا ترفع صوتها بالتلبية . رواه الدارقطني ..

ولأن المطلوب منها الستر، وفي ذلك تعرض للانكشاف والقصد بشدة السعي إظهار الجلد وليس ذلك مطلوباً في حقها..

فإذا فرغ من السعي فإن كان متمتعاً حلق أو قصر من جميع شعره وقد حل.. ولابد في التقصير من تعميم شعر الرأس في أظهر قولي العلماء..

صفة الحج والعمرة

يستحب لمتمتع حل من عمرته، ولغيره من المحلين بمكة وماقاربها، الإحرام بالحج يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة ويستحب أن يفعل عند إحرامه من مكة أو قربها

مايفعله عند إحرامه من الميقات من غسل وتطيب وتنظف وغيره مما تقدم.

ويسن أن يخرج الى منى قبل الزوال إن تيسر له، فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر.. ويقصر الرباعية ركعتين بدون جمع، والمبيت بمنى تلك الليلة سنة.. فلو سار من مكة إلى عرفة جاز..

فإذا طلعت الشمس سار إلى عرفة، فإذا زالت الشمس صلى بها الظهر والعصر قصراً، وجمعاً جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين..

دعـــاء عرفـــه

وعرفة كلها موقف الا بطن عرنة، وسن وقوفه مستقبل القبلة عند الصخرات وجبل الرحمة، ويكثر الدعاء

والاستغفار والتضرع وإظهار الضعف والافتقار، ويلح في الدعاء ولا يستبطىء الإجابة، ويجتنب السجع ويكرر كل دعاء – ثلاثاً – بخشوع وحضور قلب ويكثر من قول (لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً ويسر لي أمري)..

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : (الله اكبر الله اكبر ولله الحمد .. لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد.. اللهم اهدني بالهدى وقني بالتقوى، واغفر لي في الآخرة والأولى ..).

ويقول : (اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما نقول.. اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، ولك رب تراثي .. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة

الصدر وشتات الأمر .. اللهم إني أعوذ بك من شر ماتجري به الرياح .. اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.. وأسألك الهدى والسداد.. وأسألك الثبات في الامر، والعزيمة على الرشد .. وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً وأسألك من خير ماتعلم وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب.. اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم.. وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم.. اللهم إني أسألك من خير ماسألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ.

.. اللهم إني أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء تقضيه لي خيراً.. اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.. اللهم لاتدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا ديناً إلا قضيته ولا حاجة فيها لك رضا إلا قضيتها، يا أرحم الراحمين .. اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولايغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولايغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم .. اللهم اغفر لي ذنوبي جميعاً واهدني لأحسن الأخلاق لايهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لايصرف عني سيئها إلا أنت .. لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك .. اللهم إني أسألك

خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا .. وأسألك القصد في الفقر والغني.. واسألك نعيماً لاينفد وقرة عين لاتنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .. اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك، حرباً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من عاداك أو خالفك اللهم اغفر لي مغفرة تصلح بها شأني في الدارين وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم اللهم اغفر لي مغفرة تصلح بها شأني في الدارين وارحمني رحمة أسعد بها في الدارين وتب علي توبة نصوحاً لا أنكثها أبداً.. ووفقني سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبداً، اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة.. واغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ونور قلبي وقبري وأعذني من الشر كله واجمع لي الخير كله ..

اللهم إنك ترى مكاني، وتسمع كلامي، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير، الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وذل لك جسده، وفاضت لك عيناه، ورغم لك أنفه، يامن لا يشغله سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الاصوات، يامن لا تغلطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يامن لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا تضجره مسألة السائلين، أذقنا برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أني أسألك أن ترزقني في هذا المكان جوامع الخير كله، وأن تصلح لي شأني كله، وأن تصرف عني الشر كله فإنه لايفعل ذلك غيرك ولايجود به إلا أنت ..

اللهم يارفيع الدرجات ويامنزل البركات ويافاطر الأرضين والسموات، يا من ضجت إليه الأصوات بصنوف اللغات تسأله الحاجات وحاجتي أن لاتنساني في دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا.

إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاماً فانها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي.

إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه.

اللهم قد أصبحت في يوم حرام في بلد حرام، في شهر حرام، أسألك أن لاتجعلني أشقى خلقك المذنبين عندك ولا أخيب الراجين لديك ولا أحرم الآملين لرحمتلك الزائرين لبيتك ولا أخسر المنقلبين من بلادك ..

اللهم قد كان من تقصيري ماعرفت ومن توبيقي نفسي ماقد علمت ومن مظالمي ماقد أحصيت فكم من كرب قد نجيت ومن عمى قلب قد جليت وهم قد فرجت ودعاء قد استجبت وشدة قد أزلت ورجاء قد أنلت، منك النعماء وحسن القضاء ومني الجفاء وطول الاستقصاء والتقصير عن أداء شكرك.

اللهم فأدعوك راغباً، وأنصب لك وجهي طالباً وأضع خدي مذنباً راهباً، فتقبل دعائي وارحم ضعفي وأصلح الفساد من أمري واقطع من الدنيا همي واجعل فيما عندك رغبتي .. المغفور ذنبهم المحطوط خطاياهم الممحو سيئاتهم المرشود أمرهم منقلب من لايعصي لك بعده أمراً ولا يأتي بعده مأثماً ولا يركب بعده جهلا ولا يحمل بعده وزراً، منقلب من عمرت قلبه بذكرك ولسانه بشكرك وطهرت الادناس من ذنوبه واستودعت الهدى قلبه وشرحت بالاسلام صدره ..

اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة، وهذا الجهد .. وعليك التكلان)..

(فصـــــل)

ووقت الوقوف من زوال الشمس يوم عرفة إلى طلوع فجر يوم النحر، فمن حصل بعرفة في هذا الوقت ولو يسيرا وهو من أهل الوقوف صح حجه ومن فاته الوقوف بعرفة بان طلع عليه فجر يوم النحر قبل وقوفه بها فاته الحج.

ويصح وقوف الحائض – إجماعاً ..

ويجب أن يجمع في الوقوف بين الليل والنهار، ومن وقف بعرفة نهاراً ودفع منها قبل غروب الشمس، ولم يعد اليها، فعليه دم، بخلاف من وقف ليلا فقط، فلا دم عليه.

وقت الانصراف من عرفـــه

ثم إذا غربت الشمس دفع الحاج إلى مزدلفة بسكينة لقول رسول الله ﷺ : (أيها الناس . السكينة .. السكينة).

وإن وجد فرجة أسرع لأن رسول الله ﷺ كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص – أي أسرع – .

فاذا وصل الى مزدلفة جمع بها بين العشاءين قبل حط الرحل بأذان واحد واقامتين، ثم يبيت الحاج بمزدلفة وجوباً، ولايجوز الانصراف منها قبل منتصف الليل غير معذور كالمريض ينقل إلى المستشفى فلا شيء عليه في ترك المبيت بمزدلفة أو بمنى قياساً على أهل السقاية والرعاية والسنة أن يبقى الحاج بمزدلفة إلى طلوع الفجر.. ويصلي الصبح بغلس، ثم يأتي المشعر الحرام فيقف عنده – إن تيسر له،

ويحمد الله ويهلله، ويكبره، ويدعو قائلا :

اللهم كما وقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك، وقولك الحق .

(فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله) .
الآيتين ..

فإذا أسفر جدا سار قبل **طلوع** الشمس بسكينة ووقار، فإذا بلغ وادي محسر أسرع قدر رمية حجر ان كان ماشيا، والا أسرع بسيارته قليلا ان أمكن ويأخذ حصى الجمار من مزدلفة لفعل ابن عمر وسعيد بن جبير وغيرهما، لئلا يشتغل عند قدومه مني بشيء قبل الرمي لأنه تحيتها فلا يشتغل قبله بشيء وتكون الحصاة أكبر من الحمص ودون البندق وإن أخذ الحصى من منى أو غيرها

جاز لقول رسول الله ﷺ لابن عباس غداة العقبة. القط لي حصى، قال فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف فجعل يقبضهن في كفه ويقول : أمثال هؤلاء فارموا .. ثم قال : «أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»، فلا تجزي حصاة صغيرة جدا ولا كبيرة ولا تجزي حصاة قد رمي بها لأنها استعملت في عبادة فلا تستعمل فيها ثانياً كماء الوضوء..

رمي جمرة العقبـــة

فاذا وصل الى منى، بدأ بجمرة العقبة فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، ويشترط الرمي فلا يجزىء الوضع في المرمى لأنه ليس برمي.

ويشترط علم حصول الحصيات بالمرمى، ويستمر وقت الرمي ذلك اليوم إلى غروب الشمس، فإن غربت الشمس

قبل رميه فانه يرمي من الغد بعد الزوال، ويستحب أن يكبر مع كل حصاة ويقول :

(اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً) ويرفع يده اليمنى حال الرمي حتى يرى بياض أبطه، ولايقف عندها بعد الرمي، ومن حيث رماها جاز ويقطع التلبية بأول الرمي.

ثم بعد الرمي ينحر هديه ان كان متمتعاً أو قارناً ثم يحلق رأسه وهو أفضل من التقصير أو يقصر من جميع شعره، والمرأة تقصر من كل قرن قدر أنملة..

فإذا رمى وحلق أو قصر فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام، إلا النساء وطئا ومباشرة وتقبيلا ولمسا لشهوة ..

حكم من قدم الحلق أو النحر على الرمي

وإن قدم الحاج الحلق على الرمي أو قدم الحلق على النحر أو قدم النحر على الرمي أو قدم طواف الإفاضة على الرمي والحلق فلا شيء عليه، لما ثبت في الصحيحين أن رجلا قال : يارسول الله – حلقت قبل أن أذبح، قال : اذبح ولا حرج .. وقال آخر ذبحت قبل أن أرمي .. فقال ارم ولا حرج .. وفي بعض ألفاظ الحديث : قال : فما سمعته يسأل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال إفعل ولا حرج ..

أما تقديم السعي على الطواف فلا يصح ولو جهلا بل لابد من وقوع السعي عقب طواف نسك ولو مسنونا.[1].

---

(١) وماجاء في حديث اسامة بن شريك عند أبي داود وغ ر ان رجلا قال

يارسول الله سعيت قبل ان اطوف قال: لا حرج. الحديث. قال المحب الطبري: لااعلم احدا قال بظاهره واعتد بالسعي قبل الطواف الا ماروي عن عطاء وهو قول كالشاذ لا اعتبار به ولعله اعتمد على ظاهر هذا الحديث. اهـ.

قال المحب أيضاً وهو محمول على ارادة تقديم السعي مع طواف القدوم ويصدق على ذلك سعى قبل ان يطوف يعني الطواف الواجب. اهـ.

قلت: يتأتى هذا في حق القارن والمفرد. قال ابن القيم رحمه الله على حديث سعيت قبل ان اطوف ليس بمحفوظ والمحفوظ في تقديم الرمي والنحر والحلق بعضها على بعض. اهـ.

وحديث اسامة بن شريك سعيت قبل ان اطوف رواه ابو داود منفرداً به عن اصحاب السنن قائلا: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن اسامة بن شريك فذكره.

وزياد بن علاقة وثقه بعضهم وقال فيه الازدي سيء المذهب كان منحرفاً عن أهل بيت النبي ﷺ وقال في التقريب رمي بالنصب.

قال الامام الدارقطني في سننه ولم يقل في هذا الحديث سعيت قبل ان اطوف الا جرير عن الشيباني.

فبهذا يتضح ان السعي قبل الطواف لايجزي ولا يعتد به بل لابد من وقوع السعي بعد الطواف كما تقدم وكما علم مما ذكرنا في حديث اسامة.

والله أعلم.،،،

ثم يفيض إلى مكة فيطوف طواف الزيارة وهو ركن – لايتم الحج الا به ووقته من منتصف ليلة النحر، وفعله يوم النحر أفضل، وإن أخره عن أيام منى جاز، لأنه لا

آخر لوقته ..

فضل ماء زمـــزم

ويشرب من ماء زمزم لما أحب ويتضلع منه ويرش على بدنه وثوبه ويقول :

(بسم الله : اللهم اجعله لنا علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ورياً وشبعاً وشفاء من كل داء، واغسل به قلبي واملأه من خشيتك)..

قال ابن العربي : وهذا موجود فيه إلى يوم القيامه – يعني العلم والرزق والشفاء لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن به مكذباً ولا يشربه مجرباً فإن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجرمين. أهـ.

قال ابن عرفة في ماء زمزم :

إنما لم يكن عذباً ليكون شربه تعبداً لاتلذذاً، ثم يسعى متمتع لحجه، لأن سعيه الاول لعمرته لما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : طاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فانما طافوا طوافاً واحداً.

وفي حديث ابن عباس أنه سئل عن متعة الحج فقال: أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ : اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي، طفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لايحل له حتى يبلغ الهدي محله، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدي.. الحديث

أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً.. ففيه دلالة على تعين السعي على المتمتع وعدم اجتزائه بسعي العمرة إذ لايتم الحج بدونه كما في قوله، فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدي: الحديث..

ويسعى من لم يسع مع طواف القدوم من مفرد وقارن.

ثم يرجع الى منى فيصلي بها ظهر يوم النحر ان تيسر له، لأن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى بمنى، ويبيت بها المتعجل ليلة الحادي عشر والثاني عشر.

رمي الجمار أيام التشريق

ويرمي الجمرات أيام التشريق كل يوم بعد الزوال لقول جابر : رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة ضحى يوم النحر

ورمى بعد ذلك بعد زوال الشمس.. وقال ابن عمر : كنا نتحين اذا زالت الشمس رمينا، ويمتد وقت الرمي الى غروب الشمس إلا أن المستحب المبادرة حين الزوال ويرمي كل جمرة من الثلاث بسبع حصيات - واحدة بعد واحدة - فيبدأ بالجمرة الأولى وهي أبعدهن من مكة - وتلي مسجد الخيف فيجعلها عن يساره - مستقبلا القبلة - إن تيسر له، ويرميها بسبع ثم يتقدم عنها قليلا، فيقف يدعو ويطيل ويرفع يديه يدعو ويطيل ويرفع يديه حال الدعاء ثم يأتي - الجمرة الوسطى - فيجعلها عن يمينه - مستقبلا القبلة إن تيسر له ويرميها بسبع، ويقف عندها ويدعو ويطيل ..

ثم يأتي - جمرة العقبة فيجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه إن تيسر له ويرميها بسبع ولا يقف عندها، وترتيب الجمرات شرط لأنه ﷺ رماها كذلك وقال : (خذوا عني

مناسككم) وإن أخر رمي يوم ولو كان المؤخر رميه يوم النحر إلى غده أو أكثر أو أخر رمي الكل إلى آخر أيام التشريق ورماها بعد الزوال أجزأ رميه أداء لأن أيام التشريق كلها وقت للرمي .. فإذا أخر الكل مثلا بدأ بجمرة العقبة فينوي رميها ليوم النحر، ثم يأتي الاولى ثم الوسطى ثم العقبة ناوياً عن أول يوم من أيام التشريق ثم يعود فيبدأ من الأولى حتى يأتي الأخيرة ناوياً عن اليوم الثاني، وهكذا عن اليوم الثالث إن لم يتعجل، وفي ترك الرمي عن أيام التشريق دم لفوات وقت الرمي، ومن له عذر من نحو مرض أو زمانة.. والمرأة الحامل ومن في حكمهم يجوز لهم الاستنابة في الرمي :(١)

---

(١) لايجوز رمي الجمار ليلا للامور الآتية :
اولا: لم ينقل عن الرسول ﷺ انه رمى ليلا أو اقره وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه خذوا عني مناسككم وماعرف الرمي قربة الا بفعل رسول الله ﷺ : ولاشيء احسن من التمسك بهديه والاقتداء بأفعاله والاخذ بما عليه سلف هذه الامة وائمتها الذين هم القدوة فقد جرى عمل الصحابة رضوان

الله عليهم في حجهم انهم لايرمون الا نهاراً والكثير منهم يحج في كل عام فما ثبت ان احداً منهم رمى ليلا ..

ثانيا: مارواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رمى رسول الله ﷺ يوم النحر ضحى. وأما بعد ذلك فاذا زالت الشمس ورميه ﷺ جمرة العقبة يوم النحر ضحى وفي ايام التشريق بعد الزوال دليل على الوجوب لانه فعله ﷺ مشرعاً لامته على وجه الامتثال والتفسير فكان حكمه حكم الامر.

قال شيخ الاسلام أبن تيمية رحمه الله في شرح العمدة والفعل اذا خرج مخرج الامتثال والتفسير كان حكمه حكم الامر ..

وهو داخل في عموم قوله ﷺ : خذوا عني مناسككم .

ثالثا: مارواه البيهقي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه من نسي ايام الجمار أو قال رمي الجمار الى الليل فلا يرم حتى تزول الشمس من الغد فهذا صريح من ابن عمر رضي الله عنه بأن من نسي رمي الجمار الى الليل انه لا يرمي حتى تزول الشمس من الغد ولو لم يكن في معلوم ابن عمر منع الرمي ليلا لما قال لايرمي حتى تزول الشمس ..

رابعاً: مما يدل على منع الرمي ليلا مارواه مالك في الموطاء عن يحي بن سعيد عن عطاء ابن ابي رباح انه سمعه يذكر انه رخص للرعاء ان يرموا بالليل يقول في الزمن الاول والتعبير بالرخصة يقتضى ان مقابلها عزيمة وأن الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او مافي معناها لم يحصل.

ومثله مارواه البيهقي في السنن والطحاوي في شرح معاني الاثار عن عطاء ابن ابي رباح قال سمعت ابن عباس يقول قال رسول الله ﷺ : الراعي يرمي بالليل ويرعى بالنهار ..

خامساً: مارواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يسأل يوم النحر بمنى فيقول لا حرج فسأله رجل فقال حلقت قبل ان اذبح قال اذبح ولا حرج فقال: رميت بعدما امسيت فقال لاحرج: فهذا صريح في وقوع الرمي نهاراً. فالمساء يقصد به مابعد الزوال لانه لغة العرب يسمون مابعده مساء وعشاءا ورواحا كما في الموطاء عن القاسم ابن محمد أنه قال ما ادركت الناس الا وهم يصلون الظهر بعشي، وانما يريد تأخيرها عن الوقت الذي في شدة الحر الى وقت الابراد. ولوقوع السؤال يوم النحر اذ لا يكون اليوم الا قبل مغيب الشمس قال الموفق: ولان القائل رميت بعدما امسيت اشكل عليه رميه مساء بعد الزوال لعلمه ان النبي ﷺ رمى يوم النحر ضحى وان رميه لم يوافق زمن رمي النبي ﷺ: فلهذا قال رميت بعدما أمسيت فاحتاج الى ان يسأله بقوله رميت بعدما أمسيت أى ان رميه وقع في اخر النهار ورمي النبي ﷺ كان في أوله فقال له الرسول ﷺ ارم ولا حرج. ولان رمي الجمار عبادة نهارية اشبه الصوم لايقع ليلا. وقد استمر عمل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة في اختصاص رميهم بالنهار. والخير والبركة في اتباع سبيلهم والاقتداء بأثارهم وعدم الخروج عما كانوا عليه رضوان الله عليهم اجمعين. وهذا القول هو مذهب الامام احمد ومذهب اهل الحديث وقول طائفة من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي.

ودعوى وقوع المشقة وكثرة الزحام في الرمي لكثرة الوافدين يبيح الرمي ليلا مردود بأن المشقة وكثرة الزحام موجودة في زمن النبي ﷺ .. ومع هذا لم يرخص لهم في الرمي ليلا ولا في ايام التشريق قبل الزوال كما في حديث ام جندب رضي الله عنها ان النبي ﷺ: قال: يا أيها الناس لايقتل بعضكم بعضاً. فاذا رميتم الجمرة فأرموا بمثل حصى الخذف رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.. والله أعلم.

حكم من ترك المبيت بمنى

ومن ترك المبيت بمنى لغير عذر - فعليه دم - فان كان معذوراً كمريض بتصادم سيارة ونحوه أو من له مريض يخاف عليه اذا تخلف عنه ولا يمكنه البيتوتة بمنى لضرورة نقلهم الى المستشفى ونحوه فلا شيء عليه - لتنبيه النص على هؤلاء بما ورد في السقاة والرعاة.. فإذا أراد الحاج التعجل في يومين، فا نه يخرج من منى قبل غروب الشمس، ويسقط عنه رمي اليوم الثالث، فان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت والرمى من الغد بعد الزوال - لقول عمر : (من أدركه المساء في اليوم الثاني فليقم الى الغد حتى ينفر مع الناس) ولأنه بعد ادراكه الليل لم يتعجل في يومين، لكن لو غربت عليه الشمس بمنى وقد ارتحل أو كان مشتغلا بنقل اثاثه من خيام وغيرها فلا يلزمه المبيت لأنه قد اخذ في التعجل ..

قال النووي رحمه الله : (ولو ارتحل فغربت الشمس قبل انفصاله من منى فله النفر ولو غربت وهو في شغل الارتحال) أ هـ.

طــواف الـوداع

فاذا أتى مكة متعجل أو غيره لم يخرج حتى يطوف للوداع، ويكون ذلك اذا فرغ من جميع أموره لقول ابن عباس امر الناس ان يكون آخر عهدهم بالبيت، الا أنه خفف عن المرأة الحائض، فان ودع ثم اشتغل بشيء غير شؤون السفر كتجارة ونحوها، أو اقام بعده أعاد طواف الوداع.

ومن أخر طواف الزيارة فطافه عند الخروج أجزاه عن طواف الوداع لأن المأمور أن يكون آخر عهده بالبيت، وقد فعل ولانهما عبادتان من جنس فاجزأت احداهما عن

الاخرى..

وان خرج قبل طواف الوداع رجع الى مكة وجوبا للوداع، فان شق رجوعه او بعد عن مكة مسافة قصر فعليه دم. ولاوداع على حائض ونفساء.

.. ثم بعد وداعه يقف في الملتزم (وهو مابين الحجر الاسود وباب الكعبة) ان امكن ويلصق به جميع بدنه ويقول:

(اللهم هذا بيتك وانا عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتنى على ماسخرت لي من خلقك وسيرتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك الى بيتك، واعنتني على اداء نسكي، فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الان قبل ان تنأى عن بيتك داري، وهذا اوان

انصرافي ان أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك.. اللهم فاصحبني العافية في بدني والصحة في جسمي والعصمة في ديني، واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة.. انك على كل شيء قدير) .

ويدعو بما احب ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

صفـــة العمـــرة

وصفة العمرة أن يحرم بها من الميقات أو من أدنى الحل من مكي ونحوه، فاذا طاف وسعى وحلق أو قصر حل، ولا بأس بالعمرة في السنة مرارا كما هو مروي عن علي وابن عمر وابن عباس وأنس وعائشة وغيرهم،، رضي الله عنهم، غير انه يكره الموالاة بينهما واكثار منها باتفاق السلف،

والاكثار من الطواف بالبيت في حق الغريب أفضل م
نوافل الصلاة .

زيارة مسجد الرسول ﷺ

واذا فرغ الحاج من الحج استحب له زيارة مسج
رسول الله ﷺ .. فاذا دخل المسجد قال :

بسم الله – مقدما رجله اليمنى، لأنه ﷺ كان يعج
التيامن في شأنه كله : والسلام على رسول الله ﷺ
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويقول ذل
أيضاً عند خروجه من المسجد مقدماً رجله اليسرى الا
يقول : ابواب فضلك بدل ابواب رحمتك – لحدي
فاطمة رواه أحمد وغيره.

ثم يبدأ بتحية المسجد، فيصلي ركعتين، ثم يأتي الة

الشريف فيقف قبالة وجهه ﷺ ويستقبل جدار الحجرة ويكون مطرقا غاض البصر خاضعاً خاشعاً مستحضراً لعظمة من ارسله وفضله على سائر الخلائق مملوء القلب هيبة كأنه يرى النبي ﷺ فيسلم عليه فيقول :

«السلام عليك يارسول الله» كان ابن عمر لايزيد على ذلك وان زاد عليه فحسن كالنطق بالشهادتين ويقول : «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته .. السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه وعباده أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى اتاك اليقين، وصلى الله عليك كثيراً كما يحب ربنا ويرضى.. اللهم اجز عنا نبينا افضل ماجزيت احدا من النبيين والمرسلين، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته يغبطه به الاولون والاخرون.. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد..

.. ثم يتقدم قليلا من مقام سلامه عليه صلى الله عليه وسلم نحو ذراع عن يمينه ويقول :

«السلام عليك يا أبا بكر الصديق ..» .. ثم يتقدم نحو ذراع عن يمينه أيضا ويقول :

«السلام عليك ياعمر الفاروق ..».

ويقول : السلام عليكما ياصاحبي رسول الله وضجيعيه ووزيريه .. اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خيرا.

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ..

.. ثم يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ويدعو بما أحب لنفسه ولوالديه واخوانه والمسلمين، ويحرم الطواف بالحجرة النبوية ..

قال الشيخ تقي الدين : بل يحرم طوافه بغير البيت العتيق «اتفاقا»، ولا يتمسح بالحجرة، ولا يقبلها اتفاقا.. وكره رفع صوت عند الحجرة. لقوله تعالى :

(لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض).

وحرمته ميتا كحرمته حيا ..

واذا توجه الى بلده قال ندبا : (لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير،

آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده).

وينبغي لمن عاد من الحج أن يقوي رجاءه بالقبول ومحو ماسلف وليحذر من تجديد ذلك، وقد سئل الحسن البصري : ما الحج المبرور ؟ .. فقال : (أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة).

خاتمـــــة

ينبغي للمسلم ان يخلص نيته لله جل وعلا في جميع اعماله، فانما الاعمال بالنيات، فيفرد الله بالعبادة دون سواه، كما قال تعالى :

(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

فلا يجوز صرف شيء من العبادة – لملك مقرب ولا لنبي مرسل – فضلا عن غيرهما. والعبادة لا تصلح الا اذا انبنت على أصلين عظيمين :

أحدهما : تجريد الاخلاص لله .

والثاني : تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وهذان الاصلان هما تحقيق – شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله.. وأيضاً معنى قوله ﷺ : «انما الاعمال بالنيات» ففيه تجريد – الاخلاص لله .. وفي قوله ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).. تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ).

وفي قوله تعالى :

(ليبلوكم ايكم احسن عملا) .

قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه. قيل يا أبا

علي: ما أخلصه وأصوبه ؟ .. قال : ان العمل اذا كان خالصا، ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون – خالصا صوابا ..

والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

فلا ينبغي لاحد ان يشرع مالم يأذن به الله. اذ لا مجال للآراء . ولا مسرح للعقول في تغيير شيء من أنواع العبادة بزيادة او نقصان أو تغيُير أو تبديل.. بل الدين كامل شامل لمصالح العباد في دنياهم واخراهم، وفي كل مايحتاجون اليه في شؤونهم كلها.

.. كما يجب الابتعاد عن جميع مايغضب الله من تهاون بأوامره واستخفاف بوعيده، وتعد على حرماته، وتضييع لفرائضه .. فذلك مما يوجب المقت والهوان وخسران الدنيا والآخرة.

.. وعلى المسلمين جميعهم حكومات وأفراد ان يتنبهوا لما يكيده لهم أعداء الاسلام بشتى الاشكال ومختلف الوسائل والاساليب للقضاء على الاسلام وهدم قواعده واطفاء نوره وتفريق وحدة ابنائه ومحو عقيدته واضعاف رابطته القوية التى جمعت بين الاحمر والاسود فلا فضل لأحد على احد الا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب.

وعمل اعداء الاسلام جاهدين وبذلوا الاموال وأرسلوا المبشرين حتى حصل لهم ماحصل وانساق بدعوتهم طغام ابتليت بهم هذه الامة، فأغروهم بالمناصب فأضعفوا كيان الأمة الاسلامية ومازالت اوضاعهم في تدهور وانحطاط وبؤس وشقاء وقتال وتطاحن حتى تمزقت دولهم وتفرقت كلمتهم، فتسلط عليهم عدوهم واستحل دماءهم وأموالهم، وانتهك أعراضهم واقتسم أراضيهم..

ذلك لانهم ابتعدوا عن أوامر الله وضيعوا دينه وانتهكوا محارمه وذهبوا يطلبون العز والنصر من اعداء الله، منهم من يميل الى الشرق، ومنهم من يميل الى الغرب، وتنادوا بالشعارات الزائفة، والدعوات القومية والنعرات الجاهلية.

هذا ، ونسأل الله أن يوحد صفوف المسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يمن عليهم بالرجوع الى دينهم وسنة نبيهم وتحكيم كتاب ربهم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ..

عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
والرئيس العام للمجمع الفقهي

رســـالة
فـي
التوحيـــــــد

لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
والرئيس العام للمجمع الفقهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق العباد لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له في ربوبيته، وإلاهيته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع سبيله ودعا بدعوته ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد – فهذه نبذة يسيرة تبين للمسلم العقيدة السلفية النقية عن كل مايشوبها من خرافة وبدعة، عقيدة أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من محققى العلماء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

اعلم أن التوحيد الذي دل عليه القرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، ثلاثة أقسام :

★ توحيد الربوبيـــة .
★ توحيد الألوهيـــة .
★ توحيد الأسماء والصفات .

فصـــل
في بيان توحيد الربوبية

أما توحيد الربوبية ، فقد اعترف به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ولم يدخلهم في الاسلام، فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لايكون به الإنسان مسلماً. قال تعالى : **(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، قل أفلا تتقون)**.
أى أفلا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ماسواه.

فقوله تعالى : (**قل من يرزقكم من السماء والأرض**) أى من ذا الذى ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته، ومشيئته، فيخرج منها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً، ونخلا وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا ، أإله مع الله؟ فسيقولون الله.

وقوله : (**أمن يملك السمع والأبصار**) أى الذى وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله تعالى : (**قل هو الذى أنشأكم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلا ماتشكرون**).

وقال : (**قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم**) الآية.

وقوله : (**ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**) بقدرته العظيمة ومنته العميمة.

وقوله : (**ومن يدبر الأمر**) أى من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون . (**يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن**) فالملك كله العلوى والسفلي، ومافيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه عبيد له، خاضعون لديه (**فسيقولون الله**). أى وهم يعلمون ذلك ويعترفون به، (**فقل أفلا تتقون**) أى افلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم فكثيراً مما يحتج سبحانه وتعالى على المشركين، بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، (**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنت تعلمون، سيقولون لله، قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله، قل افلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير، ولايجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله ، قل ، فأنى تسحرون**).

وتوحيد الربوبية، قد فطرت على قبوله، والاعتراف به قلوب بنى آدم، فلم ينكره إلا شذاذ قليلون، من بني آدم، ففرعون القائل: أنا ربكم الأعلى، والقائل ما علمت لكم من إله غيرى، معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم، كما حكى الله عنه، في قوله: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا، وفيما حكى الله عن نبيه موسى عليه السلام في قوله لفرعون : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر .

فصـــل
في توحيد الألوهيـــة

وهو اخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يدعى إلا هو، دون غيره من الملائكة والنبيين والاولياء والصالحين وغيرهم. ولا يلتجى لكشف الضر إلا إليه، ولا لجلب الخير إلا اليه، ولا

ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه سبحانه، ولايستعان ولا يستغاث إلا به وحده. إلى غير ذلك من أنواع العبادة كالرغبة والرهبة والإنابة إلى الله، والخشوع له، فصرف شيء منها إلى غير الله شرك مناف للتوحيد الذي أرسل لأجله الرسل. فجميع الرسل أرسلوا لتحقيق هذا النوع من التوحيد.

قال تعالى : (**لقد أرسلنا نوحا إلى قومه، فقال ياقوم اعبدوا الله، مالكم من إله غيره» فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك إلى عبادة الله وحده سبحانه**).

وقال هود لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال صالح لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال شعيب لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال ابراهيم عليه السلام لقومه : (**اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**).

وقال تعالى : مخاطباً لنبينا محمد ﷺ : (**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**).

وأول ما أمر به نبينا محمد ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين توحيد الله بعبادته وحده، لا شريك له، واخلاص الدين له وحده، كما قال عز وجل (**يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر**) ومعنى قوله: وربك فكبر أى عظم ربك بالتوحيد، وإخلاص العبادة له وحده، لاشريك له، وهذا قبل الأمر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وغيرها من شعائر الإسلام.

ومعنى (قم فأنذر) أى أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده لاشريك له، وهذا قبل الانذار عن الزنا والسرقة والربا، وظلم الناس وغير ذلك من الذنوب الكبار.

وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أصول الدين وأفرضها، فلأجله خلق الله الخلق، كما قال : (**وما خلقت الجن والإنس ، إلا ليعبدون**) ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)

ومعنى : (اعبدوا الله) وحدوا الله، وأفردوه بالتأله له تعالى، فالعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة من الدعاء والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، إلى غير ذلك من أنواع العبادة. وصرف شيء من هذا إلى غير الله شرك بالله، ومناف لكلمة التوحيد : لا إله إلا الله، التى أرسل لأجلها جميع الرسل، فإنها كلمة عظيمة، قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها

نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين، فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله، معرفة واقرارا وعملا، وجواب الثانية بتحقيق، أن محمدا رسول الله معرفة واقرارا وانقياداً وطاعة .

ومعنى الإله هو المالوه المعبود الذى يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الاله، وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث به رسوله ﷺ، فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين.

قال تعالى : (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**) ومع ذلك كانوا يعبدون، ويدعون غيره، ويطلبون المدد من دون الله، وإذا قيل لهم لم تعبدون، وتدعون غير الله، وأنتم تقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء يجيبون : (**مانعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى**).

وقد وقع كثير من الناس في كثير من أنواع الشرك الذي حذر عنه النبي ﷺ ، وجاء الإسلام لمحوها .

ومن أنواع الشرك الذى وقع فيه الكثير طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلا عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عند الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع.

ولكن ياحسرة على العباد يعملون على قبور المشايخ ومشاهدهم ماكان يعمله المشركون على مشاهد أوثانهم.

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله :
هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعياداً للصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم،

وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، ومن لم يصدق ذلك ، فليحضر مشهداً من مشاهدهم المعروفة، حتى يرى الغلاة، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب – اذا رأوها من مكان بعيد – فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لايبدى ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر كأجر من صلى إلى القبلتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً، يبتغون فضلاً من الميت، ورضوانا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله – بل للشيطان – مايراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات. ويطلب من الميت من الحاجات. ويسأل من تفريج الكربات، واغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولى

العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام. الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود ومايفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التى يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم، وقربانهم لغير الله رب العالمين.

قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال: وهم عندى كفار، مثل تعظيم القبور، والتزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران، وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج،

وكتب الرقاع فيها، يامولاى افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركاً. وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجرة مسجد الملموسة يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر، أو محمد وعلى، أو لم يعقّد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر، ولم يخرق ثيابه الى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : «ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وماعليه أكثر الناس اليوم، رأى احدهما مضادا للآخر، مناقضا له بحيث لايجتمعان أبداً، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور. وهؤلاء يصلون عندها واليها. ونهى عن اتخاذها مساجد. وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد، مضاهاة لبيوت الله،

ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل ، ونهى عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها لما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدى قال: قال لى علي : ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله ﷺ . أن لاتدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا الا سويته، وحديث ثمامة بن شفى وهو عند مسلم - أيضاً - قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه - لما روى مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه . قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه، ونهى عن الكتابة عليها - لما روى أبو داوود في سننه، : أن رسول الله ﷺ نهى عن

تجصيص القبور، وأن يكتب عليها، قال الترمذي : حديث حسن صحيح.

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى عن أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داوود عن جابر - أيضاً - أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه أو يزاد عليه، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار، قال ابراهيم النخعى : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم.

والمقصود أن هؤلاءا المعظمين للقبور المتخذينها أعياداً الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب المناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ . محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام. قال : ولايجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد، يحذر ماصنعوا - متفق عليه -

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها . انتهى.

قال العلامة المباركفوري الهندى في كتابه : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : على قول علي لأبي الهياج الأسدي أبعثك على مابعثني النبي ﷺ ، أن لاتدع قبراً مشرفا، إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته، مانصه:

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أولياً، القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً - هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، بل ظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها مايسأله العباد من ربهم، وشدوا إليه الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا. وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام، إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً، ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار مالايشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين، أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك

ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم، وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، فياعلماء الدين ويامملوك المسلمين أى رزء للاسلام أشد من الكفر، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن انكار هذا الشرك البين واجباً.؟.

لقد اسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت
ولكن انت تنفخ في رماد

قال العلامة ابن القيم رحمه الله - في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف - : فيه أنه لايجوز ابقاء مواضع الشرك

والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور، والتى اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر، لايجوز ابقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة، أو أعظم شركاً عندها وبها، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً. والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لاتزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين ا.هـ ملخصاً.

وماذا يفيد الملتجئون إلى أصحاب القبور، وهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، بل هم محتاجون إلى رحمة الله وإلى من يدعو لهم من الأحياء بالرحمة والمغفرة لهم.

فهذا سيد الخلق وأشرف المرسلين وأكرم البرية يقول لأعز الناس عنده بنته فاطمة، والتى هي بضعة منه، وعمه عباس بن عبد المطلب، وعمته صفية بنت عبد المطلب، ولعشيرته الأقربين : يامعشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم (اى بالايمان بالله والعمل الصالح) لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ماشئت لا أغنى عنك من الله شيئاً.

فإذا كان سيد المرسلين صرح بأنه لا يغنى شيئاً عن سيدة نساء العالمين ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم فتبين له التوحيد وغربة الدين.

وفي الحديث رد على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه.

كما أن فيه دلالة صريحة على أنه لايجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل مالايقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى. فإن ماعند الله لاينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لاينفع بنته ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته، إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لايملكون لأنفسهم ضراً، ولا نفعاً، فضلا عن غيرهم ، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء . انهم اتخذوا

الشياطين أولياء من دون الله، ويحسبون أنهم مهتدون).
أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم انداداً من دون الله يحبونهم كحب الله، إشراكاً بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ولرسوله، والصالحين من عباده كما قال تعالى : (**وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته، فقد علمته تعلم مافي نفسى، ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شهيد**).

ونحن مع هذا لاننكر شفاعة رسوله ﷺ والأنبياء والصالحين ، فقد صح أن الأنبياء يشفعون، والأولياء يشفعون، والافراط يشفعون، لكن لانطلب الشفاعة منهم ولكن نطلبها من الله، فلا يشفع أحد إلا بإذن الله له، كما قال تعالى: (**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**) وهو سبحانه تعالى لا يأذن إلا لمن رضى الله قوله وعمله، كما في قوله تعالى: (**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**) فنقول : اللهم لاتحرمنا شفاعة نبيك اللهم شفعه فينا، وأمثال هذا.

والأحياء يشفعون للميت إذا قاموا يصلون عليه بدعائهم له، كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس وغيره، ان رسول الله ﷺ قال: مامن مسلم يموت فيقومون على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه. وكما في دعاء المصلين على الطفل المتوفى، فانهم يقولون في دعائهم اللهم اجعل لوالديه فرطاً وأجرا وشفيعاً مجاباً فيسألون الله أن يقبل شفاعة هذا الفرط

لوالديه، لا أنهم يطلبون الشفاعة من الفرط نفسه، لأن الشفاعة ملك لله، قال تعالى: (**قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض**).

فصــــل
في توحيد الأسماء والصفات

هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك باثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا ننفي عنه ماوصف به نفسه ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته.

فمن صفات الله التى وصف بها نفسه، الاستواء، فقال عز من قائل في سورة الأعراف: (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**) .

وقال في سورة يونس : (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش**) .

وقال في سورة الرعد : (**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش**).

وقال في سورة طه : (**الرحمن على العرش استوى**).

وقال في سورة الفرقان : (**ثم استوى على العرش، الرحمـــن**).

وقال في سورة السجدة :(**الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش**).

وقال في سورة الحديد : (**هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش**) .

فهذه سبعة مواضع أخبر فيها سبحانه أنه على العرش وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أنْ يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي، فهو عنده فوق العرش.

وقد سئل الامام مالك رحمه الله عن قوله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى، فأطرق مالك وعلته الرحضاء يعني العرق، وانتظر القوم مايجيىء منه، فيه فرفع رأسه إليه وقال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء وأمر به فأخرج.

وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء كاف شاف في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في النزول : النزول معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وهكذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة. ولايجوز تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء، لأنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه، إذ هو مستول على العرش، وعلى الخلق، ليس للعرش مزية.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله : من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سموات، بائن من خلقه، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب، والا ضربت عنقه، وألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة.

كما أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى فوق سماواته، بائن من خلقه، قال الله تعالى: (**إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه**).

(ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ، بل رفعه الله إليه، أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ان النبي ﷺ قال : ألا تأمنونى وأنا أمين من في السماء.

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال للجارية : أين الله ، قالت في السماء، قال : من أنا؟ قالت : أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة . رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

ومنكر أن يكون الله في جهة العلو بعد هذه الآيات والأحاديث مخالف لكتاب الله، ومنكر لسنة رسول الله ﷺ.

قال مالك بن أنس : الله في السماء وعلمه في كل مكان، لايخلو من علمه مكان.

وقال عبد الله بن المبارك: نعرف ربنا فوق سبع سموات بائنا من خلقه، ولا نقول، كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار إلى الأرض، بل نعتقد إن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه، وانه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان والتسليم لذلك، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، ولا نفي لحقيقة النزول، فروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعونى

فاستجيب له من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر.

وفي لفظ : ينزل الله عزل وجل .. ولايصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة، ولا نزول ملك، لما روى مسلم - باسناده - عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعونى فأستجيب له، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يضيء الفجر.

وروى رفاعة بن عروبة الجهني أن رسول الله ﷺ قال إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل ينزل الله عزل وجل إلى سماء الدنيا، فيقول : لا أسأل عن عبادى أحداً غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يدعوني استجيب له، من ذا الذي يسألني اعطيه، حتى ينفجر الصبح. رواه الامام أحمد.

وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل .

وروى حديث النزول علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمرو ابن عبسة، وأبو الدرداء، وعثمان بن أبي العاص، ومعاذ بن جبل، وأم سلمة زوج النبي ﷺ وخلق سواهم رضى الله عنهم ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نصف له كيفية أو نشبهه بنزول المخلوقين.

اليـــدان : ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز والثابتة عن رسول الله ﷺ اليدان قال اللہ عزل وجل: (**بل يداه مبسوطتان**) وقال عزل وجل : (**مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى**).

فلا نقول يد كيد، ولا نكيف ولا نشبه، ولا نتأول

اليدين على القدرتين، كما يقول أهل التأويل، بل نؤمن بذلك، ونثبت الصفة من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا يصح حمل اليدين، على القدرتين فإن قدرة الله عزل وجل واحدة، ولا على النعمتين، فإن نعم الله عزل وجل لاتحصى. كما قال عزل وجل : (**وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها**).

ونثبت لله عز وجل صفة النفس التى وردت في كتاب الله تعالى، وثبتت في سنة رسوله ﷺ.

قال الله عز وجل – اخبارا عن نبيه عيسى عليه السلام انه قال : (**تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك. وقال عز وجل: كتب ربكم على نفسه الرحمة. وقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: واصطنعتك لنفسي، وقال يحذركم الله نفسه**).

وروى ابو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة. رواه مسلم.

الوجـــــه

ومن الصفات التي نطق بها القرآن. وصحت بها الأخبار الوجه قال الله عزل وجل : **(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)**، وقال : **(كل شيء هالك إلا وجهه)**.

وفي حديث أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال : إن الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار،

وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، ثم قرأ أن بورك من في النار ومن حولها.

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب. وخبر الصادق الأمين، فيجب الاقرار بها والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات.

ونعتقد ان الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة – كما جاء في كتابه – وصح به النقل عن رسوله ﷺ قال الله عزل وجل : **(وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة)**.

وروى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال : كنا جلوسا ليلة مع رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال : إنكم سترون ربكم عز وجل، كما ترون هذا القمر، لاتضامون في رؤيته – الحديث.

قال مالك بن أنس رضي الله عنه : الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة.

وفي معتقد أهل السنة والجماعة إن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام إذا شاء متى شاء، قال الله عزل وجل : (**وكلم الله موسى تكليماً**).

قال أبو العباس بن سريج : ان جميع الآي الواردة عن الله في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في صفاته التى صححها أهل النقل يجب على المرأ المسلم الايمان بكل واحد منه. كما ورد، وتسليم أمره إلى الله، كما أمر، وذلك مثل قوله سبحانه : (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**) ، وقوله : (**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**)، وقوله : (**الرحمن على العرش استوى**). وقوله : (**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**).

ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقيه والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين، والنظر والإرادة والرضاء والغضب والمحبة والكراهة. والقرب والبعد، والسخط والاستجابة وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء وقوله للملائكة وقبضه، وبسطه، وعلمه، ووحدانيته، وقدرته، ومشيئته، وصمدانيته، وفردانيته، وأوليته، وآخريته، وظاهريته، وباطنيته، وحياته، وبقائه، وأزليته، ونوره، وتجليه، والوجه، وخلق آدم بيده، ونحو قوله: أأمنتم من في السماء، وسماعه من غيره، وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المذكورة في كتابه المنزل وجميع مالفظ به المصطفى من صفاته كغرس جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه القدم، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وغيرته، وفرحه بتوبة العبد، وانه ليس بأعور، وإن كلتا يديه يمين،

وحديث القبضتين وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وانه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من حثياته، فيدخلهم الجنة وحديث القبضة التى يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيرا قط، وإثبات الكلام بالحرف والصوت، وكلامه للملائكة ولآدم، ولموسى، ومحمد والشهداء وللمؤمنين عند الحساب، وفي الجنة ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، وما أذن الله بشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه، وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار الواردة في صفات الله سبحانه مابلغنا، ومالم يبلغنا مما صح عنه، اعتقادنا فيه أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولانزيد عليها، ولا ننقص منها، ولا نكيفها، ولا نشير اليها بخواطر القلوب، بل نطلق ما أطلقه الله، ونفسر مافسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون، والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عما أمسكوا

عنه، ونسلم الخبر لظاهره والآية لظاهرها، مع اعتقاد معناها ومادلت عليه، لانقول بتأويل المعتزلة والأشعرية، والجهمية والملحدة، والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل. ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول الإيمان بها واجب على وجه يليق بجلاله.

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمه الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه، فقد كفر، وليس ماوصف الله نفسه تشبيهاً، وقد قال الله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». فقوله : ليس كمثله شيء رد على المشبهة، وقوله: وهو السميع البصير، رد على المعطلة.

فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين، فمن قال: لا اعقل علماً ويداً

إلا من جنس العلم واليد المعهودة، قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذات المخلوقين، ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته، وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء إلا مايناسب المخلوقين. فقد ضل في عقله ودينه، وما أحسن ما قال بعضهم إذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يراه ونحو ذلك. فقل له : كيف هو في نفسه، فإذا قال : لايعلم ماهو إلا هو، وكنه الباري غير معقول للبشر، فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن يعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي .

ومن أول نصوص الصفات أو قال انها الفاظ لايعقل معناها، ولايدرى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها الفاظاً لامعانى لها، فقد أخطأ خطأ بيناً، بل هى آيات

بينات دالة على أشرف المعاني وأجلها.

وبالجملة إن مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات ما أثبته الرب لنفسه وما أثبته له أعلم الخلق به محمد ﷺ كالاستواء والمحبة والغضب والرضا والسمع والبصر والرحمة والعلم والكلام واليدين، والوجه، والنداء وإن هذا القرآن المحفوظ في صدورنا المتلو بألسنتنا المسموع بأذاننا. هو كلامه حقيقة كما قال تعالى: (**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**، وقوله: **إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة**)، وقوله: (**وإن أحد من المشركين استجارك، فأجره حتى يسمع كلام الله**)، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب وصح عن رسول الله ﷺ من إثبات الصفات له جل وعلا، اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل مع اعتقاد معناها ومادلت عليه على حد قوله تعالى: (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) وقوله: (**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد**).

وهذا هو حقيقة مذهب سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة العلماء المحققين. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
و
الرئيس العام للمجمع الفقهي
١٥/٧/١٤٠٢هـ

فهرس

الصفحة	الموضوع
٤	مقدمة فى فضل مكة
١٠	الفائدة الأولى
١١	الفائدة الثاية
١١	الفائدة الثالثة
١٢	الفائدة الرابعة
١٣	آداب السفر
١٧	المواقيت
٢٠	مكان احرام من منزله دون الميقات
٢٠	الاحرام
٢٢	انواع الانساك وصفتها
٢٣	وجوب الدم على المتمتع والقارن
٢٤	حكم المتمتعة اذا حاضت أو نفست قبل طواف العمرة
٢٥	صفة التلبية
٢٦	محظورات الاحرام
٢٩	الحكمة فى اجتناب هذه المحظورات
٣٠	الفدية
٣١	دخول مكة
٣٢	صفة الطواف ودعاؤه
٣٨	السعي

٤٠	صفة الحج والعمرة
٤١	دعـاء عرفـة
٥٠	وقت الانصراف من عرفـة
٥٢	رمي جمرة العقبة
٥٤	حكم من قدم الحلق أو النحر على الرمي
٥٦	فضل مـاء زمزم
٥٨	رمي الجمار أيام التشريق
٦٣	حكم من ترك المبيت بمني
٦٤	طواف الوداع
٦٦	صـفة العمـرة
٦٧	زيارة مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)
٧١	خـاتمة
٧٧	رسالة في التوحيد
٨٠	فصل في بيان توحيد الربوبية
٨٣	فصل في توحيد الألوهية
١٠٣	فصل في توحيد الأسماء والصفات
١١٠	اليـدان
١١٢	الوجـه
١٢٢	الفهـرس